الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية: دراسة تحليلية

حمزة عبدالكريم الربابعة *

ملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية. تكونت عينة الدراسة من (45) مثلاً عربياً متضمناً تنشئة الطفل ورعايته. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال أسلوب تحليل المضمون. كشفت نتائج التحليل أن الامثال العربية تضمنت (17) دلالةً نفسيةً وتربويةً لصورة الطفل. تم تصنيفها إلى (6) مستويات، رتبت تنازلياً وفقاً لمعدل تكرارها، كالآتي: أولاً، متطلبات تنشئة الطفل، ثانياً: إيجابيات تنشئة الطفل، ثالثاً: الحاجات الانفعالية، وعلاقة الطفل بالأم، رابعاً: الاستعداد الذاتي، والتنشئة المبكرة، وصعوبة تربية الطفل، والحاجات الاجتماعية، والسلوكيات السلبية، خامساً: الحاجات النمائية، والتأديب الجسدي، والأنانية في التربية. وأخيراً، سادساً: العدالة بين الأطفال، والحاجة للنوم والطعام واللباس، ودور حضانة الطفل. كما أظهرت النتائج أن الأمثال العربية هدفت إلى تحقيق عدد من الوظائف في مجال نمو الطفل وتعلمه، جاء أكثرها تكراراً الوظائف الانفعالية، ثم الاجتماعية، تلاهما الجسمية، ثم الأخلاقية، وأخيراً الوظائف المعرفية. كما أكدت الأمثال على مبادئ نفسية وتربوية أصيلة في مجال تنشئة الطفل ورعايته، شملت مختلف جوانب نموه وتعلمه، أهمها: علاقة الطفل بوالديه وتحديداً الأم، والاهتمام بمؤسسة حضانة الطفل، بالإضافة إلى التأكيد على إشباع حاجات الطفل الأساسية، واحترامها.

الكلمات الدالة: الطفل، الأمثال العربية، الدلالات النفسية والتربوية، ثقافة الطفل، الثقافة العربية.

المقدمة

تعد مسؤولية تنشئة الطفل ورعايته واجباً إنسانياً وأخلاقياً وتنموياً معاً، وعلى الرغم من قيام الوالدين بدور أساسي في إشباع حاجات الطفل الفسيولوجية والنفسية، إلا أنه يقع على أفراد المجتمع ومؤسساته دور كبير في مجال مساعدة الوالدين في تحمل أعباء رعاية الطفل، وتنشئته، خاصة في ظل تزايد معوقات التنشئة الثقافية والاجتماعية التي يشهدها عالمنا العربي اليوم متمثلة بالصراعات والأزمات الاقتصادية والسياسية التي باتت تهدد استقرار الطفولة، وأمنها النفسي والاجتماعي؛ مما يهدد المنابع البشرية للثقافة العربية بالتجفيف.

لذلك حظيَ مجال علم نفس الطفولة بمكانة مهمة في البحوث والدراسات النفسية والتربوية المعاصرة عالمياً ومحلياً؛ وذلك إيماناً بأهمية مرحلة الطفولة في بناء النمو السليم المتكامل مستقبلاً بمختلف مجالاته. كما نالت مرحلة الطفولة قيمة خاصة في الأمثال الثقافية؛ لما تمثله من مصدر للإنتاجية لكل ثقافة، وعلى افتراض أن الطفل أهم مدخلات الثقافة، وعنصر تعزيز تنميتها المستدامة، حيث تتفق الثقافات العالمية على أن الطفل أصل الثقافة، وضمان استمرارها، وتجديدها- فعملية تنشئة الطفل من مخلوق بيولوجي جسدي إلى كائن اجتماعي تفاعلي تمثل تحدياً كبيراً لدى أبناء الثقافة للوصول به إلى أفضل مستويات النمو والتعلم، لذلك حرصت الأمثال على تزويد مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالممارسات العملية والتجارب والخبرات اليومية لكيفية التعامل مع الطفل، ونقلها من جيل إلى آخر (Karadag, 2013).

وتعكس شخصية الطفل محصلة معتقدات الراشدين القائمين على رعايته الذين بدورهم يسلكون وفق مخططات ثقافية، تحدد نظرتهم، ومفاهيمهم، ومعاييرهم الخاصة في مجال تنشئة الطفل ورعايته، حيث ينصب تركيز الوالدين في الدرجة الأولى على تنشئة الطفل وفق معتقدات ومبادئ القيم الثقافية السائدة في مجتمعهم، بل إن كثيراً من المجتمعات المعاصرة تحكم على مدى نجاح تنشئة الطفل وفقاً للمعايير الثقافية السائدة؛ لذلك يحرص الوالدان والقائمون على تنشئة الطفل ورعايته على تطبيع الطفل ثقافياً واجتماعياً. لذا، قد يجد الطفل نفسه ضمن أدوار ومعايير ثقافية لا خيار له فيها، ويمارس سلوكيات مرتبطة بدوره

* جامعة اليرموك. تاريخ استلام البحث 2016/4/14، وتاريخ قبوله 2016/6/16.

© 2018 عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الاجتماعي تبعاً للسياقات الثقافية التي ينشأ بها. ومع التقدم بالعمر يجد الطفل نفسه يميل إلى ممارسة عدد من السلوكيات والأنشطة الثقافية، ليست لأنها فرضت عليه سابقاً، بل يعمد إلى اختيارها لتحقيق التكيف الثقافي؛ لذا فإن نمو الطفل محكوم بالسياقات الثقافية والاجتماعية التي يتفاعل معها؛ أي أن الطفل نتاج ثقافته (قطامي، 2014).

الإطار النظري

تعد السياقات الثقافية والاجتماعية مرجعية أساسية لدراسة مختلف أشكال السلوك الإنساني، حيث شكلت بيئة خصبة لصياغة افتراضات النظريات النفسية والتربوية على اعتبار أن السياقات الثقافية من أهم العوامل المؤثرة في نمو الطفل وتعلمه؛ مما دفع علماء نظرية الأنظمة البيئية (Ecological Systems Theory) إلى تحديد النمو الإنساني بتأثير السياقات الثقافية والاجتماعية. فقد افترضت أن أفضل منهجية لدراسة نمو الطفل هي التي تتم من خلال الأنظمة الثقافية والاجتماعية التي ينشأ في ظلها؛ لما لها من تأثير مباشر في تشكيل صورته الثقافية والاجتماعية، حيث يختلف تأثيرها تبعاً لمستوياتها وشمولها وتعقيدها بدءاً من نظام الأسرة إلى المدرسة، ووصولاً إلى النظام الثقافي الأكثر شمولاً؛ لذلك صنفت التأثيرات الثقافية ضمن النظام الأشمل (Macrosystem) الذي يتكون من جميع القيم والمعتقدات الثقافية والعادات والتقاليد والأنظمة والأدوار الثقافية، بالإضافة إلى الأيدولوجيات والأنظمة السياسية والاقتصادية، بما فيها التراث الثقافي والأمثال الثقافية (Matthew & Kristy, 2015).

وتعد الأمثال الثقافية واحدة من أهم الموروثات الثقافية التي عادةً ما تولد معتقدات مشتركة لدى أفراد الثقافة الواحدة حول مختلف مجالات الحياة تتصف بالثبات وصعوبة تغيرها، وسرعة انتشارها، وشدة قبولها وتداولها اجتماعيا؛ مما يزيد من قوة تأثيرها في بناء منظومة المجتمع الحديث اجتماعياً وثقافياً ونفسياً، إلا أنها قد تختلف في أهميتها وتأثيرها من فرد لآخر ومن موقف لآخر، ليبقى الأمل بتأثير الأمثال بشكل إيجابي في تفكير الأفراد وسلوكاتهم (Carolin & Simone, 2014).

كما يمثل دراسة الأمثال تحليل لمكونات الثقافة، إذ تتضمن الأمثال الثقافية أبعاداً وصوراً متعددة، كالجوانب النفسية والتربوية لأفراد المجتمع، ومستوى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال مضامين الأمثال الثقافية التي تكرس معتقدات الماضي ونظرتهم للمستقبل. لذلك يجب تعزيز الجهود البحثية الهادفة إلى الكشف عن خبرات الأجيال السابقة، والعمل على تحديد المبادئ النفسية والتربوية الإيجابية منها، وتعزيزها، وتوظيفها في مجال رسم الخطط، وتحديد الأهداف، بالإضافة إلى تطبيقها في بناء الاستراتيجيات وأساليب التدريس، حيث أصبحت الأمثال إطاراً مرجعياً في مختلف مجالات الحياة (العووادة، 2013).

وتوصف الأمثال بأنها: كلام بليغ موجز يمثل خلاصة التجربة الإنسانية المحاكية للواقع الثقافي الاجتماعي، كما تشكل مرجعية في فهم سلوكيات أبناء الثقافة الواحدة وتفسيرها؛ لما تمثله من قيمة إيجابية في البناء الثقافي العام، ومادة نظرية للخبرات النمائية لا يمكن تجاوزها في تفسير ظاهرة ما. فقد اهتمت الأمثال بوصف صورة الطفولة، وتحديد ملامحها قبل الاهتمام الرسمي المعاصر المتمثل في وسائل الإعلام والمؤتمرات، والمؤلفات؛ لذلك تسهم عملية دراسة صورة الطفل بالأمثال الثقافية في الكشف عن الجذور التاريخية الثقافية المتأصلة في النظرة للطفل التي تلعب دوراً كبيراً في كيفية تعاملنا معه، وتحدد مدركاتنا لحاجتهم النفسية والاجتماعية، بالإضافة إلى تدعيم حفظ الثقافة وتحليلها، وتفحص قدرتها على التأثير (النوايسة، 1997).

وتمثل الأمثال ذاكرة الثقافة بما تحتويه من معرفة نظرية وتقاليد وصور ثقافية ومعايير اجتماعية لمجالات الحياة المتنوعة، ولمختلف الأدوار الثقافية، حيث تصاغ بتراكيب وعبارات بسيطة بلغة ثقافية شعبية مألوفة للجميع تجمع في مضامينها الحكمة والخبرة والدقة والفائدة من جهة، والفكاهة والسهولة من جهة أخرى؛ مما يجعلها أكثر تكراراً وانتشاراً بين الناس على اختلاف ثقافتهم ومستويات تعليمهم، حيث لا يتطلب تداولها واستخدامها مؤهلات وقدرات خاصة؛ مما يزيد من تأثيرها في معرفة الأفراد وسلوكياتهم ومعتقداتهم (Rusieshvili & Gozpinat, 2014).

حيث لا تنحصر وظيفة الأمثال في تصوير معالم الحياة الثقافية والاجتماعية والأحداث التاريخية فحسب، بل تهدف كذلك إلى تحقيق مجموعةٍ من الوظائف المعرفية والاجتماعية والانفعالية والسياسية والاقتصادية أيضا، حيث تقدم نماذج إيجابية لمختلف أشكال النشاط الإنساني. كما تعد الأمثال أداة موثوقا بها اجتماعياً في التعزيز والعقاب الاجتماعي، بالإضافة إلى قدرتها على التأثير في مجال حل النزاعات والخلافات، وتقديمها كشاهد ثقافي في الإسناد والأدلة، أو لتقريب وجهات النظر (حسنين، 1996).

كما تكمن الوظيفة الأساسية للأمثال في نقل خبرات المجتمع وأدواته الثقافية من جيل إلى آخر، حيث تمثل انعكاسا للعقل الباطني للثقافة واللاشعور الجمعي لأبنائها. كما تظهر الأمثال عمق الثقافة الشفهية المشتركة للأفراد، وتجسد طريقة تفكيرهم وبنائهم المعرفي السابق الذي يحدد نظرتهم لقضايا المجتمع المختلفة؛ مما يجعل من الأمثال خلفية نظرية تساعد الاجيال اللاحقة

في تفسير أحداث الحياة وتوظيفها احتماعياً ومهنياً وتربوياً ونفسياً (Karadag, 2013).

الدراسات السابقة

حاولت العديد من الدراسات على اختلاف حدودها الزمانية والمكانية البحث في العلاقة بين الأمثال الثقافية، والعديد من المتغيرات التربوية والاجتماعية، ومن أهم الدراسات السابقة ذات العلاقة بالدراسة الحالية ما قام به (زبيد وسعيد، 1989) بهدف المقارنة بين الأمثال العامية في منطقة مكة المكرمة والأمثال الشعبية الأردنية. أظهرت نتائج الدراسة وجود اتفاق عام بين الامثال العامة المكية والأردنية من حيث المعنى والهدف، في حين أنها اختلفت في منطوق المثل. كما كشفت النتائج أن الأمثال وحدة التحليل تضمنت العديد من المعتقدات والعادات والتقاليد السامية التي يحتاجها أبناء المجتمع.

كما هدفت دراسة نيبولد وهاق (Nippold & Haq, 1996) إلى الكشف عن مدى إدراك الأمثال الثقافية، وأثرها في السلوكيات التربوية لدى عينة تكونت من (180) طالباً وطالبة في أمريكا. أظهرت النتائج أن هناك فروقا لدى الطلبة في فهم الأمثال تعزى لنوع المثل (مألوف – مجرد) ولصالح الأمثال المألوفه. كما كشفت النتائج عن وجود أثر إيجابي للأمثال في سلوكيات الطلبة التربوية من خلال الحث على الدافعية للتعلم، وممارسة اللغة، وحسن العلاقات الاجتماعية داخل البيئة التعليمية.

وقام (الخميسي، 1998) بتحليل الدلالات التربوية للأمثال الشعبية المصرية، ومدى توظيفها في المجال التربوي من خلال المنهج الوصفي التحليلي. كشفت نتائج التحليل عن مجموعة من المضامين التربوية في الأمثال صنفت إلى جوانب إيجابية وأخرى سلبية. كما أظهرت النتائج أن هناك قصورا في توظيف الأمثال التربوية في المجال التربوي بشكل كاف.

كما بحث (نجم وعلي، 2006) في صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، ومدى توافقها مع صورتها من منظور إسلامي، لدى عينة تكونت من (100) مثل شعبي فلسطيني. ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي. أظهرت النتائج أن المرأة قد حظيت بمكانة كبيرة في الامثال الشعبية الفلسطنية، حيث أظهرتها بأدوار اجتماعية متعددة: ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وتربوياً. كما تضمنت الأمثال الفلسطينية المرأة بصورتيها الإيجابية والسلبية. وفي المقابل، بينت النتائج أنه على الرغم من توافق معظم صور المرأة في الأمثال مع المنظور الإسلامي للمرأة، إلا أن هناك اختلافا مع بعض الأمثال.

وبحث كل من واشهولز وياسودا (Wachholz & Yassuda, 2011) في العلاقة بين المهمات المعرفية لفهم الأمثال وتفسيرها في ضوء متغيرات المؤهل العلمي، والعمر لدى عينة تكونت من (67) مشاركاً في أمريكيا، أظهرت نتائجها أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في فهم الأمثال وتفسيرها تعزى لمتغير العمر لصالح الأفراد الأكبر سناً، في حين لم يكن هناك فروق تعزى للمؤهل العلمي.

وهدفت دراسة (سليم، 2011) إلى تحليل الأمثال الشعبية الجزائرية التي تعد خلفية لممارسة العنف في المجتمع، كشفت نتائجها أن الأمثال الجزائرية، مع أنها قد تعبرعن الحكمة وتعلم العقلانية في حل المشكلات الحياتية، إلا أنها قد تساعد أيضاً في ممارسة السلوكيات العدوانية بدافع أنها قيلت في الأمثال؛ مما يغرس معتقدات خاطئة لدى بعض الأفراد للعنف، ويبرر سلوكياتهم.

كما بحثت (العواودة، 2013) في الثقافة الدافعة والثقافة المعيقة في الأمثال الشعبية الأردنية من خلال المنهج الوصفي التحليلي لدى عينة تكونت من (354) مشاركاً. أظهرت النتائج أن هناك درجة مرتفعة من إدراك (فهم المعنى) أفراد عينة الدراسة للأمثال الشعبية الأردنية. كما توصلت النتائج إلى وجود ثقافة دافعة في الأمثال الشعبية، وأخرى معيقة لمختلف مجالات النشاط الإنساني.

كما قامت (كشيك، 2014) بدراسة المضامين التربوية للأمثال الدمشقية من خلال توظيف المنهج الوصفي التحليلي لعينة من الأمثال، تكونت من (114) مثلاً، كشفت نتائجها عن (38) قيمة تم تضمينها في الأمثال الدمشقية، تم توزيعها إلى خمس مجموعات، جاءت مرتبة تنازلياً كالآتي: القيم الاجتماعية، ثم القيم الإنسانية، تلاهما القيم العلمية، وأخيرًا القيم الاقتصادية، ثم الأخلاقية.

وهدفت دراسة (عبد الجواد، 2014) إلى اختبار أثر فاعلية الأمثال الشعبية في تدريس منهاج البلاغة لدى عينة تكونت من (67) طالبةً من المرحلة الثانوية في فلسطين تم توزيعهن إلى مجموعتين: تجريبية وضابطة. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل الطالبات في منهاج البلاغة تعزى للمجموعة، ولصالح المجموعة التجريبية التي تم تدريسها وفقاً للأمثال الشعبية.

كما بحث كل من روسيشفيلي وجوزبنار (Rusieshvili & Gözpınar, 2014) في صورة الطفل في الأمثال الشعبية التركية، ومقارنتها بالأمثال الثقافة الجورجية. تكونت عينة الدراسة من (47) مثلاً تركياً، و(47) مثلاً من الثقافة الجورجية. كشفت نتائج التحليل أن هناك اتفاقاً عاماً بين الثقافتين على ملامح صورة الطفل في الأمثال من خلال التأكيد على أهمية الرعاية

والتنشئة المبكرة للطفل، والتركيز على دور الوالدين في رعاية الطفل، وتحديداً دور الأم في إشباع الحاجات الأساسية، في حين تحدد دور الأب بشكل أكبر في التنشئة الاجتماعية. كما أظهرت النتائج دعوة الأمثال إلى أساليب التنشئة الاجتماعية القائمة على القسوة والشدة أكثر من الدلال أو الإهمال. كما وصفت الأمثال عملية تربية الطفل بالصعبة والشاقة، ونادراً ما تتم بصورة كاملة. كما بينت النتائج أن هناك اتفاقا بين الثقافتين في الصور التشبيهية والرمزية للتعبير عن الطفل (كالنباتات والطيور).

يلاحظ من الدراسات السابقة أن هناك اتفاقا على أهمية الأمثال الثقافية، وتأثيرها في سلوكيات الأفراد، وتشكيل معتقداتهم واتجاهاتهم نحو مختلف مجالات الحياة. حيث قدمت الأمثال وصفاً للأدوار الاجتماعية المتعددة، منها صورة الطفل الثقافية (Rusieshvili & Czpiar, 2014)، وأثرها في سلوكياته التربوية (Nippold & Haq, 1996)، بالإضافة إلى إمكانية توظيف مضامين الأمثال في مجال التدريس الصفي (عبد الجواد، 2014). كما كشفت نتائج تحليل الأمثال عن عدد من الدلالات واالقيم التربوية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية والاقتصادية (الخميسي، 1998؛ كشيك، 2004).

لذلك، تمثل الدراسة الحالية مكوناً جديداً يضاف إلى بناء الدراسات الثقافية التي تناولت صورة الطفل في الأمثال الثقافية؛ مما قد يسهم في إثراء المعرفة حول صورة الطفل، وتوضيح دلالتها النفسية والتربوية، بالإضافة إلى تميز الدراسة الحالية بإضافة الثقافة العربية إلى منظومة الثقافات العالمية التي حاولت دراسة صورة الطفل في الامثال، حيث تعد الدراسة الحالية – في حدود اطلاع الباحث– الدراسة الأولى من نوعها التي تتناول موضوع الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تعد الأمثال من الموروثات الثقافية ذات القدرة التصويرية العالية لواقع الحياة الاجتماعية والثقافية بمختلف مجالاتها ومكوناتها عبر المراحل المتعاقبة، بما فيها صورة الطفل ومكانته في المجتمع. وعلى الرغم من كل مظاهر رعاية الطفولة والاهتمام بها، إلا أن هناك قصورا في مجال إظهار صورة الطفل، ومكانته في الأمثال الثقافية، حيث اقتصرت معظم الجهود البحثية في الاستشهاد بالأمثال على شكل أمثلة متناثرة في عدد من كتب الاطفال ومجلاتهم (النوايسة، 1997). في حين أن للأمثال الثقافية قدرة على التأثير في معتقدات الأفراد وسلوكياتهم المختلفة، حيث يمكن أن تحدد الأمثال طريقة ونوعية تعامل الراشدين مع الطفل (Carolin & Simone, 2014). لذلك جاءت الدراسة الحالية محاولة للبحث في الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية، خاصة في ظل اتهام التربية الحديثة بقصورها في المحافظة على الهوية الثقافية العربية. وبالتحديد، تتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن الاسئلة الآتية:

1. ما الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية؟
2. ما وظائف الأمثال الثقافية العربية في مجال تنشئة الطفل ونموه؟
3. ما إسهامات الأمثال الثقافية العربية في مجال رعاية الطفل وتنشئته المعاصرة؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في مجاليها النظري والتطبيقي معاً، فمن الناحية النظرية فإنها تنبثق من دورها في توفير إطار ثقافي ذات منظور نفسي تربوي لصورة الطفل، ومكانته الثقافية العربية، بالإضافة إلى تزويد القارئ والباحث في مجال ثقافة الطفل بمجموعة من الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية المتداولة في حياتنا اليومية؛ مما قد يزيد من مستوى فهم معناها، وإدراك دلالاتها، وزيادة قيمة الأمثال العملية والعلمية. كما ستسهم الدراسة الحالية في حفظ وتوثيق الأمثال الثقافية العربية المتعلقة بصورة الطفل بمنهجية علمية تحليلية.

أما الأهمية التطبيقية للدراسة فترتبط بمدى توظيف نتائج الدراسة وتوصياتها في ميدان مؤسسات التنشئة الاجتماعية المسؤولة عن رعاية الطفل، كمجالات إرشاد الأطفال، وتدريبهم، وتعليمهم أو في مجال وسائل الاعلام الموجهه للأطفال، التأليف التربوي لأدب الطفل وثقافته، كالقصص والأناشيد، والاستشهاد بها ضمن المناهج الدراسية.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية

الدلالات النفسية والتربوية: تعرف اصطلاحاً: بأنها الأصول الأولية للتربية والمستندة إلى نظريات النمو بصورتها العامه سواء التي تفترض أن نمو الطفل يكون نتيجة عوامل وراثية أو نتيجة الانظمة البيئية التي يولد فيها الطفل ويتفاعل معها أو كلاهما معاً (قطامي، 2014). أما إجرائياً فالدلالات النفسية والتربوية يقصد بها الأفكار والمعتقدات الثقافية التي تضمنتها الأمثال العربية

وتشير إلى مجال او أكثر من مجالات تنشئة الطفل ورعايته : معرفياً، واجتماعياً، وانفعالياً، وأخلاقياً، وجسمياً.

الأمثال الثقافية العربية: وتعرف اصطلاحاً: بأنها موروثات الثقافة العربية من الكلام البليغ الموجز المتداول بلسان اللغة العربية والمصور لجوانبها الثقافية الاجتماعية المتعددة (طه، 1999). أما إجرائياً: فيقصد بها الأقوال العربية المدونة التي تضمنت أي مفردة لغوية صريحة أو ضمنية دالة على مجالات تنشئة الطفل ورعايته.

محددات الدراسة

تحددت الدراسة الحالية بالآتية:

- اقتصرت الدراسة الحالية على الأمثال الثقافية العربية المتعلقة بمجال تنشئة الطفل ورعايته، الواردة في موسوعة الأمثال العربية المجموعة من قبل(طه، 1999).
- كما تحددت الدراسة بالخصائص السيكومترية لأداة الدراسة (وحدة التحليل).

الطريقة والإجراءات

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة (وحدة التحليل) من (45) مثلاً من الأمثال الثقافية العربية في مجال تنشئته الطفل ورعايته، الواردة في موسوعة الأمثال العربية لمحققتها (طه، 1999). حيث جاءت في بابين مستقلين، هما: باب الآباء والأبناء (ص95– 101)، وباب التربية (ص217– 221). وقد تضمنت الموسوعة (177) فصلاً من الأمثال، تم تدوين كل مثل باللهجات العربية المختلفة التي انتشر بها من خلال لهجة بلاد الشام والجزيرة العربية، ومصر وتونس وأي لهجة مختلفة للمثل الواحد.

منهجية الدراسة

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال توظيف أسلوب تحليل المضمون؛ كونه الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة الحالية المتمثلة بالكشف عن الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية.

صدق أداة التحليل

تم التأكد من صدق محتوى الأمثال الثقافية (وحدة التحليل) من خلال عرضها على عشرة محكمين من ذوي الخبرة في الجامعات الأردنية في تخصصات اللغة العربية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس؛ للتحقق من صحة محتوى الأمثال، وسلامة صياغتها اللغوية، ومدى علاقتها بمجال تنشئة الطفل ورعايته. وتم الأخذ بملاحظات المحكمين التي نالت إجماع (80%) من آرائهم، حتى وصلت بصورتها النهائية كما هي في الدراسة الحالية.

ثبات التحليل

تم التحقق من ثبات التحليل من خلال طريقتين، هما:

أولاً: عملية التحليل وإعادة التحليل: حيث قام الباحث بتحليل الدلالات النفسية والتربوية المتضمنة بالأمثال العربية (عينة الدراسة)، ثم أعاد عملية التحليل مرة أخرى بعد مرور ثلاثة أسابيع على التحليل الأول؛ بهدف التأكد من نسبة الاتفاق بين التحليلين، وقد بلغ (86.7). وفقاً للمعادلة الآتية:

$$\text{معامل الثبات} = \frac{\text{عدد التحليلات المتفق عليها}}{\text{عدد التحليلات المتفق عليها + عدد التحليلات المختلف عليها}} \times 100\%$$

ثانياً: مقارنة نتائج التحليل: حيث تم الاستعانة بثلاثة محللين من ذوي الخبرة والمعرفة في مهارات تحليل المضمون من الزملاء المدرسين في قسم علم النفس الإرشادي والتربوي، وطلب منهم إجراء التحليل بعد توضيح هدف الدراسة، ومن ثم تم مقارنة نتائج تحليلهم مع تحليل الباحث، وقد بلغت نسبة الاتفاق (83.5) وفقاً لمعادلة معامل الثبات السابقة.

إجراءات التحليل

تم تنفيذ الدراسة الحالية وفقاً للخطوات الآتية:

- بعد تحديد هدف الدراسة وأسئلتها، تم تحديد عينة الدراسة (وحدة التحليل) من الأمثال الثقافية العربية التي تضمنت ما يشير إلى تنشئة الطفل ورعايته في المعنى، أو اللفظ، أو الضمير سواء كان التعبير اللغوي على شكل جملة أم كلمة.

- بعد ذلك تم التحقق من صدق محتوى الأمثال (من خلال المحكمين)، ثم قام الباحث بتحليل الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال العربية، وفقاً لمعايير التحليل الآتية:
  - نوع الدلالة (إيجابية، سلبية).
  - محتوى الدلالة (ظاهر، ضمني).
  - أسلوب عرض الدلالة (إنسان، نباتات، حيوانات، طيور، غير ذلك).
  - كما تضمن تحليل الأمثال تحديد وظائفها وفقاً لمجالات نمو الطفل وتعلمه (معرفياً، واجتماعياً، وانفعالياً، واخلاقياً، وجسمياً).
- ثم تم جمع نتائج التحليل وتنظيم عرضها في جداول توضيحيه، وتحديد معدل تكرارها ونسبها المئوية. وبعد ذلك تم التأكد من ثبات التحليل (من خلال إعادة التحليل، والمقارنة بنتائج التحليل).
- بعد ذلك تم ترتيب عرض النتائج ومناقشتها تبعاً لأسئلة الدراسة استناداً للدراسات السابقة والأدب النظري النفسي والتربوي للطفل.
- وأخيرًا، تم تقديم التوصيات النظرية والتطبيقية المناسبة، بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها.

عرض نتائج التحليل

للإجابة عن أسئلة الدراسة الحالية قام الباحث أولاً بتحديد معايير التحليل والرموز الدالة عليها؛ لتسهيل عملية التحليل وتنظيم نتائجه؛ وفقاً لأسئلة الدراسة، كما يوضحها الجدول (1).

الجدول(1): دلالات رموز معايير التحليل

معايير التحليل	صورة المثل		دلالات المضمون		طريقة العرض				
المستوى	أيجابي	سلبي	ظاهر	ضمني	أنسان	نباتات	حيوانات	طيور	غير ذلك
الرمز	أ	س	ظ	ض	ن	ت	ح	ط	غ

نتائج تحليل السؤال الأول

بهدف تحديد الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل؛ وفقاً لمعايير التحليل ثم تنظيم الأمثال على شكل مجموعات وفق الدلالات المشتركة بينها، كما هو موضح في الجدول (2).

جدول (2): التحليل الرمزي للأمثال وفقاً للدلالات النفسية والتربوية

وحدة التحليل	التحليل الرمزي وفقاً لترتيب معايير التحليل	وصف الدلالات النفسية والتربوية
• ابن النجيب ما بخيب وإذا نجح فاق أبوه • الديك الفصيح من البيضة بصيح • اللي فيه طبع عمره ما بغيره	أ. ظ. ن. أ. ض. ط. س. ظ. ن.	الاستعداد الذاتي، والقدرات الفطرية للطفل
• ربَّ ابنك وهو صغير تفرح فيه وهو كبير • السقي بعد الغرس، والتربية قبل الدرس • ابنك على ما ربيتيه، وجوزك على ما عودتيه	أ. ظ. ن. أ. ض. ت. أ. ظ. ن.	أهمية التنشئة الاجتماعية المبكرة (التدخل المبكر) للطفل، واعتبار الطفولة مرحلة حرجة للنمو، وللتنبؤ بمستوى التعلم المستقبلي
• ابن أربعة ربعوه وإن ما قعد اضربوا أمه مع أبوه. • بنت الأربعة سنتوها وإن ما قعدت لا تغصبوها.	س. ظ. ن. أ. ظ. ن.	الاهتمام بالحاجات النمائية للطفل كالتدريب على الجلوس من خلال مبادئ التعزيز (سنتوها، لا تغصبوها) والعقاب(أضربوا).

وحدة التحليل	التحليل الرمزي وفقاً لترتيب معايير التحليل	وصف الدلالات النفسية والتربوية
• اللي يفرق بين الولد والولد ببوسة إله بجهنم دوسة.	أ.ظ.غ.	العدالة بين الأطفال والنهي عن التميز بينهم
• اللي عند أمه لا تحمل همه. • اللي أمه بالدار حظاته كتار. • اللي أمه بالبيت ما يحس بالجوع • مات أبوي ع المراتب حطوني، وماتت أمي ع المزابل رموني	أ. ظ. ن. أ. ظ. ن. أ. ظ. ن. أ. ظ. ن.	التأكيد على العلاقة بين الطفل والأم
• يكبروا وتكبر لقمتهم، وتكبر كلمتهم، وتكبر كسوتهم ويكبر همهم		التأكيد على مراعاة حاجات الطفل مع التقدم بالعمر وضرورة اشباعها واحترامها، وقد تضمن المثل عدد من الدلالات النفسية والتربوية كالآتي:
يكبروا وتكبر لقمتهم،	أ. ظ. ن.	الحاجة إلى الطعام
وتكبر كلمتهم،	أ. ظ. ن.	الحاجة للتقدير الاجتماعي (حاجة اجتماعية)
وتكبر كسوتهم	أ. ظ. ن.	الحاجة إلى اللباس
ويكبر همهم	س.ظ.ن	الحاجة إلى المشاركة الانفعالية (حاجة انفعالية)
• الولد يبكي يا جوع يا موجوع.	أ. ظ. ن.	الاهتمام بانفعالات الطفل (البكاء) وتفسير اسبابها (حاجة انفعالية)
• ارحمهم صغار وصاحبهم كبار.	أ. ظ. ن.	توفير الدفء والمحبة (ارحمهم صغار) (حاجة انفعالية)
• يا أم الولد لا تكوني بخيله مراضاة الولد قليلة	أ.ظ.ن.	الاهتمام بانفعالات الطفل وحالته المزاجية (مراضاة) (حاجة انفعالية)
• إن كبر ابنك خاويه.	أ. ظ. ن.	تغير المعاملة الاجتماعية مع التقدم بالعمر (خاويه: أي علاقة أكثر حميمية) (حاجة اجتماعية)
• ابنك وهو صغير وردة تشميه، لما يكبر خي تداريه	أ.ض. ت	قرب الطفل من والديه وحسن سيرته معهم (حاجة اجتماعية)
• لا تقعد ابنك من النوم لو غشيك القوم	أ. ظ. ن.	الحاجة إلى النوم
• اضرب ابنك واحسن أدبه ما يموت إلا إذا خلص أجله • العصا من الجنة.	س. ظ. ن. س. ض. ن.	التأديب الجسدي
• تربية الصبيان مثل قرط الصوان • ما يربي جسد ليفنى كبد • الحبل دلال والطلق غيه، والتربية يا بلوة البلية	س. ظ. غ. س. ظ. غ. س. ظ. غ.	صعوبة ومشقة تربية الاطفال
• قاضي الأولاد شنق حالة • الولد ولد ولو صار قاض لبلد • لا تطول الحبل لابنك، يشنق حاله فيه.	س. ض.غ. س. ض.غ. س. ض.غ.	النظرة السلبية لسلوكيات الطفل، وعدم القدرة على حل مشكلاتهم أو ضبطها ذاتياً.
• ابن ابنك الك، ابن بنتك لا. • ابن غيرك ما ينفعك وكلب غيرك ما يتبعك.	س. ظ. ن. س. ظ. ح.	الانانية في التربية (التأكيد على تربية الأبناء، وعدم الاهتمام بتربية الاطفال الآخرين)

وحدة التحليل	التحليل الرمزي وفقاً لترتيب معايير التحليل	وصف الدلالات النفسية والتربوية
• وقت يكون الأولاد صغار الأم تأكل بملاعق ذهب، وإذا كبروا تأكل بملاعق خشب. • من وقت كبروا صيصاني ما شبع منقاري. • الأولاد إن ماتوا نيران وإن عاشوا جيران. • عند افراحهم ما نراهم وعند شقاهم يحملونا بلاهم.. • الأولاد بدهم حيل وأم ما تنام الليل. • الأولاد بدهم أم صبية وأب غني. • ابن ليلته بقلق عيلته. • البنين بنا، أولهم فقر وآخرهم غنى.	س. ظ. ن. س. ظ. ن. س. ض. ط. س. ظ. ن. س. ظ. ن. س. ظ. ن. س. ظ. ن. س. ظ. ن.	متطلبات قدوم الطفل وانعكاساتها السلبية على الأسرة، والتكلفة الاجتماعية والانفعالية والاقتصادية التي تتطلبها تنشئة الطفل.
• الصبي ما أحلى بشارته ولو مات بساعته • الابن يحيى الذكر. • مين (من) خلف ما مات. • ابني أعرفه ويعرفني. • اللي ببيت أهله على مهله • ما أعز من الولد إلا ولد الولد.	أ. ظ. ن. أ. ظ. ن. أ. ظ. ن. أ. ض. ن. أ. ظ. ن. أ. ظ. ن.	انعكاسات الطفل الايجابية على الاسرة نفسياً واجتماعياً
• أعطِ ابنك للي عنده ولد	أ. ظ. ن	الاهتمام بنوعية الرعاية البديلة (الحضانة) للطفل

تظهر نتائج التحليل الرمزي في الجدول (2) مظاهر الدلالات النفسية والتربوية التي تضمنتها الأمثال الثقافية العربية (وحدة التحليل)، حيث شملت الدلالات جوانب مجالات نمو الطفل وتعلمه. كما يلاحظ أن الدلالة النفسية والتربوية الواحدة قد تكررت في أكثر من مثل؛ مما ساعد في عملية تصنيفها بمجموعات مشتركة. كما أن المثل (يكبروا وتكبر لقمتهم، وتكبر كلمتهم، وتكبركسوتهم، ويكبر همهم) تضمن أكثر من دلالالة نفسية وتربوية، كما تم توضيحها في الجدول (2). ولتحليل الدلالات النفسية والتربوية بصورة أكثر عمقاً تم وصف صورها (الإيجابية والسلبية)، ودلالات مضمونها (ظاهر، وضمني)، وطريقة عرضها (إنسان، ونباتات، وطيور، وحيوانات، وغير ذلك). ولتوضيح نتائج السؤال الأول تم تمثيلها بالأرقام الإحصائية والنسب المئوية. كما في الجدول (3).

الجدول(3): نتائج تحليل الدلالات النفسية والتربوية وفقاً لمعايير التحليل

الدلالة النفسية والتربوية	التكرار	النسبة	الترتيب	صورة المثل		دلالات المضمون		طريقة العرض				
				ايجابي	سلبي	ظاهر	ضمني	الانسان	نباتات	طيور	حيوانات	غير ذلك
الاستعداد الذاتي	3	%6	رابعاً	2	1	2	1	2	0	1	0	0
التنشئة المبكرة	3	%6	رابعاً	3	0	2	1	2	1	0	0	0
الحاجات النمائية	2	%4	خامساً	1	1	2	0	2	0	0	0	0
العدالة بين الاطفال	1	%2	سادساً	1	0	1	0	0	0	0	0	1

الدلالة النفسية والتربوية	التكرار	النسبة	الترتيب	صورة المثل		دلالات المضمون		طريقة العرض				
				ايجابي	سلبي	ظاهر	ضمني	الانسان	نباتات	طيور	حيوانات	غير ذلك
الحاجة للنوم	1	%2	سادساً	1	0	1	0	1	0	0	0	0
علاقة الطفل بالام	4	%8	ثالثاً	4	0	4	0	4	0	0	0	0
الحاجة للطعام	1	%2	سادساً	1	0	1	0	1	0	0	0	0
الحاجة للباس	1	%2	سادساً	1	0	1	0	1	0	0	0	0
الحاجات الاجتماعية	3	%6	رابعاً	3	0	3	0	2	1	0	0	0
الحاجات الانفعالية	4	%8	ثالثاً	3	1	4	0	4	0	0	0	0
التأديب الجسدي	2	%4	خامساً	0	2	1	1	1	1	0	0	0
صعوبة تربية الطفل	3	%6	رابعاً	0	3	3	0	0	0	0	0	3
السلوكيات السلبية	3	%6	رابعاً	0	3	0	3	2	0	0	0	1
الأنانية في التربية	2	%4	خامساً	0	2	2	0	1	0	0	1	0
متطلبات تنشئة الطفل	8	%17	أولاً	0	8	7	1	7	0	1	0	0
إيجابيات تنشئة الطفل	6	%13	ثانياً	6	0	5	1	6	0	0	0	0
حضانة الطفل	1	%2	سادساً	1	0	1	0	1	0	0	0	0
المجموع الكلي	48			27	21	40	8	37	3	2	1	5

* تضمنت بعض الامثال أكثر من دلالة نفسية وتربوية مختلفة؛ لذلك كان المجموع الكلي للتكررات أكثر من عينة الدراسة

يظهر الجدول (3) أن الأمثال (وحدة التحليل) تضمنت (17) دلالةً نفسيةً وتربويةً، شكلت صورة الطفل في التراث الثقافي العربي، وبمعدل تكرار بلغ (48) مرةً. كما يلاحظ من الجدول أن الأمثال العربية وصفت صورة الطفل بجانبيها (الإيجابي، والسلبي)، وبمعدل تكرار أفضل لصورته الإيجابية، حيث بلغ (27) مرةً، مقابل (21) مرةً لصورته السلبية

ويبين الجدول (3) نتائج تحليل مستوى الأمثال في التعبير عن المضمون (ظاهر، ضمني)، حيث جاءت بشكل ظاهر (40) مرةً، مقابل (8) مررات بطريقة ضمنية؛ مما يؤكد الاهتمام الصريح للأمثال العربية في مكانة الطفل الثقافية ودلالالة تنشئتة.

عرض نتائج تحليل السؤال الثاني

للإجابة عن السؤال الثاني تم تصنيف وظائف الأمثال وفقاً لمجالات النمو الإنساني (معرفياً، واجتماعياً، وانفعالياً، واخلاقياً، وجسمياً). كما في الجدول (4).

الجدول(4): تحليل وظائف الأمثال وفقاً لمجالات النمو الإنساني

وظائف الامثال	التكرار	النسبة
المجال الانفعالي	14	%29
المجال الاجتماعي	12	%25
المجال الأخلاقي	8	%17
المجال الجسمي	7	%14.5
المعرفي	7	%14.5
المجموع الكلي	48	%100

* تضمنت بعض الأمثال اكثر من وظيفة نفسية وتربوية

يظهر الجدول (4) أن هناك وظائف متعددة للأمثال العربية شملت الجوانب المعرفية والاجتماعية والانفعالية والجسمية والاخلاقية. كما يظهر الجدول معدل تكرار وظائف الأمثال العربية وفقاً لمجالات النمو الإنساني، بالإضافة إلى نسبتها في كل مجال.

مناقشة النتائج

مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: "ما الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الامثال الثقافية العربية"؟

أظهرت نتائج التحليل العديد من الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال الثقافية العربية شكلت صورة الطفل في التراث الثقافي العربي؛ مما يفسر المكانة الهامة التي حظيّ بها الطفل في الثقافة العربية، ويعود جذور هذا الاهتمام إلى قرون مبكرة من الزمن. وتتوافق دلالات الأمثال العربية مع افتراضات النظريات النفسية والتربوية الحديثة التي تنادي بضرورة الاهتمام بمختلف مجالات نمو الطفل وتعلمه. كما تتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه نتائج دراسات كل من (الخميسي، 1998؛ كشيك، 2014؛ Rusieshvili & Gozpinar, 2014) التي أظهرت وجود عدد من الدلالات والمضامين التربوية في الأمثال على اختلاف ثقافاتها.

كما كشفت نتائج التحليل عن تصوير مكانة الطفل بجانبيها (الإيجابي، والسلبي)؛ مما يظهر نظرة الثقافة العربية الإيجابية لصورة الطفل ومكانته الاجتماعية، وإيجابية مستوى التوقعات المرجوة منه كعضو فعال في ثقافته. في المقابل، أظهرت الأمثال العربية النظرة السلبية التي قد يشكلها بعض أبناء الثقافة العربية لصورة الطفل؛ مما قد يعزى إلى حساسية عملية تنشئة الطفل وخطورتها. كما يصورها المثل (تربية الصبيان مثل قرط [اكل] الصوان [نوع من الحجارة الصلبة جداً]).

حيث حددت الأمثال العربية ظهور تنشئة الطفل بصورتيها الإيجابية أو السلبية بالعديد من المتغيرات المرتبطة بقابلية الطفل واستعداده الذاتي من جهة كالمثل (الديك الفصيح من البيضة بصيح) ، وبأساليب رعاية الوالدين، ومدى قابليتهم الانفعالية، كما يصورها المثل (يا أم الولد لا تكوني بخيله مراضاة الولد قليلة). بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الداعمة لتنشئة الطفل كما يصورها المثل (الأولاد بدهم أم صبية وأب غني) ، حيث جمعت الأمثال العربية في نظرتها للطفل بين الخبرات الواقعية العملية اللازمة لتنشئة الطفل، كالمثل (ما يربي جسد ليفنى كبد) ، والافتراضات المنطقية في المثل (السقي بعد الغرس، والتربية قبل الدرس) ؛ مما يجعل من مضامين الامثال العربية ودلالاتها مصدراً ومرجعاً هاماً للباحثين والعاملين في المجالات النفسية والتربوية، وتزويدهم بقدر كاف من الخبرات العملية والافتراضات النظرية القابلة للبحث والتجريب في مجال تنشئة الطفل والاهتمام به.

كما بينت نتائج التحليل أن الأمثال العربية قد عبرت عن اهتمامها بالطفل ورعايته بطرق تعبيرية مختلفة من خلال توظيف عناصر التشبيه بالأدوات السائدة في الثقافة العربية؛ وذلك للتأكيد على قوة الدلالة المراد توضيحها في المثل، حيث اكتسبت الدلالة النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال قيمة إضافية من قوة الأداة الثقافية المشبه بها، التي تحمل بدورها دلالات هامة في الثقافة العربية كالطيور والنباتات والحيوانات أو غير ذلك (كالجنة، وجهنم، والحجر، والملاعق، والمهن).

ولمناقشة الدلالات النفسية والتربوية وتوضيحها بصورة أكثر تفصيلاً قام الباحث بتصنيف دلالات صورة الطفل في الأمثال العربية إلى (6) مستويات وفقاً لمعدلات تكرارها، حيث جاءت مرتبة تنازلياً كما يوضحها الشكل التوضيحي (1).

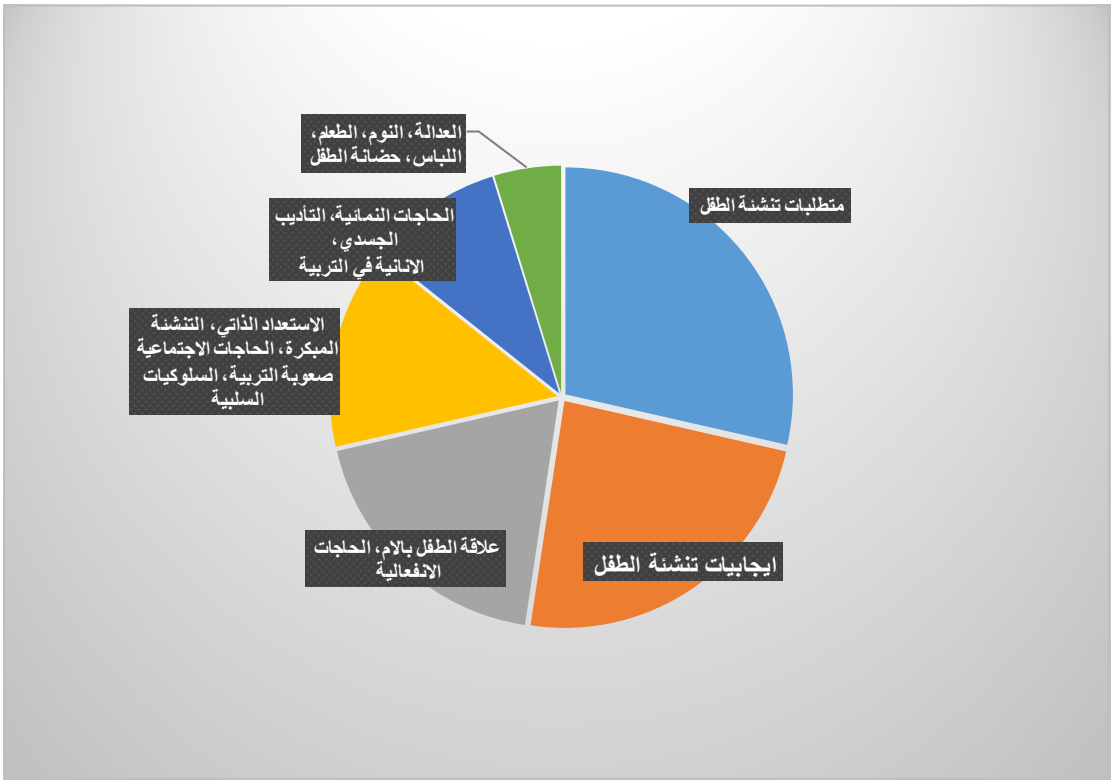

شكل(1): مستويات الدلالات النفسية والتربوية لصورة الطفل في الأمثال

المستوى الأول: متطلبات تنشئة الطفل، وبلغ تكرارها (8) مرات، وبنسبة مئوية (29%). وتشير إلى التجهيزات والتكاليف الاقتصادية والاجتماعية والانفعالية التي تتكفلها الأسرة عند قدوم الطفل؛ مما يشير إلى اهتمام الثقافة العربية بتوفير البيئة الآمنة مادياً ونفسياً للطفل، ولفت انتباه الوالدين والمجتمع إلى ضرورة الاستعداد لاستقباله، حيث إن تنشئة الطفل تتأثر بمستوى الاسرة اقتصادياً، كالمثل (الأولاد بدهم أم صبية وأب غني).

المستوى الثاني: إيجابيات تنشئة الطفل، وبمعدل تكرار بلغ (6) مرات، ونسبة مئوية (24%). على خلاف المستوى الأول عبر المستوى الثاني عن الدلالات النفسية والتربوية التي تشير إلى الانعكسات الإيجابية التي تعود على الأسرة عند قدوم الطفل، حيث صورت الأمثال العربية الطفل بأنه ثمرة نجاح الزواج، ومؤشر هام لتحقيق الذات الأسرية والاجتماعية لقول المثل (الصبي ما أحلى بشارته ولو مات بساعته). كما أن قدوم الطفل في الثقافة العربية يعد سبباً لاستمرار النسل، وترك الأثر للوالدين حتى بعد الممات كما في المثل (الابن يحيى الذكر). ومصدر سعادة مستقبلية لهم وسند وعون لهم(ما أعز من الولد إلا ولد الولد).

وتعكس هذه الأمثال جانبا من المعتقدات الثقافية العربية الهامة في مجال صورة الطفل، ومكانته الثقافية متمثلة بحاجة الثقافة العربية للأبناء خاصة الذكور، حيث تعد القدرة على الإنجاب، وكثرة عدد الأبناء مصدرا للسعادة الأسرية، وتعزيز مستوى المكانة الاجتماعية، بالإضافة إلى أثرها في تحسين المستوى الاقتصادي للأسرة لدورهم الإيجابي في زيادة القدرة الإنتاجية، والتغلب على صعوبات العمل ومشقة الحياة، خاصة أن الثقافة العربية تعد من الثقافات الزراعية والأعمال المهنية التقليدية الصعبة التي تتطلب عددا من القوى البشرية العاملة ولساعات طويلة على خلاف الحال في الثقافات الصناعية الأخرى. بالإضافة إلى حث تعاليم الدين الإسلامي على التكاثر بالإنجاب؛ مما يضفي على عملية إنجاب الأطفال، وحسن رعايتهم، وتربيتهم قدسية دينية وثقافية في الأمثال العربية.

المستوى الثالث: وتتضمن الدلالات النفسية والتربوية التي بلغ تكراراها (4) مرات، وبنسبة مئوية (19%). وهي:

أ- علاقة الطفل بالأم، أكدت الأمثال العربية على أهمية علاقة الطفل بالأم، ودورها في إشباع حاجاته الاساسية، كالتغذية السليمة كما في المثل (اللي أمه بالبيت ما يحس بالجوع) ، ودور الأم في إشباع حاجات الطفل الانفعالية كالمثل (اللي عند أمه لا تحمل همه). في المقابل، أظهرت الامثال العربية أن فقدان الأم يؤثر سلباً في مفهوم ذات الطفل، وسوء إشباع حاجاته كضرب

المثل (مات أبوي ع المراتب حطوني، وماتت أمي ع المزابل رموني).

وبذلك تتفق نظرة الأمثال العربية لعلاقة الطفل بالأم مع افتراضات النظريات النفسية والتربوية المعاصرة التي أكدت على أهمية العلاقة بين الطفل ومقدم الرعاية، وتحديداً مع الأم، حيث افترضت نظرية التحليل النفسي أن طبيعة علاقة الطفل مع الأم تحدد سلامة ونوعية علاقات الطفل الاجتماعية والانفعالية المستقبلية بجميع مستوياتها، وعبر مراحل النمو المختلفة، كما أنها تمثل قاعدة أمان لاكتشاف العالم المحيط بالطفل (Susan & Robyn, 1995).

ب- الحاجات الانفعالية: فعلى الرغم من أن الاهتمام بمجال النمو الانفعالي (الذكاء الانفعالي) يعد من المفاهيم النفسية الحديثة المعاصرة، إلا أن نتائج تحليل الأمثال العربية تكشف عن الاهتمام المبكر للثقافة العربية في انفعالات الطفل، حيث أشارت دلالات الأمثال بشكل صريح إلى أهمية إشباع حاجات الطفل الانفعالية، ومراعاتها. كما هو الحال في المثل (يا أم الولد لا تكوني بخيله مراضاة الولد [سعادته] قليلة). ولم تقف الأمثال العربية عند مستوى وصف انفعالات الطفل فقط، بل حاولت تقديم بعض التفسيرات السببية للانفعالات السلبية، كما في المثل (الولد يبكي يا جوع يا موجوع [مريض])؛ مما قد يؤسس لتوفير دليل ثقافي عملي لإرشاد الوالدين والمربين في كيفية التعامل مع أطفالهم.

وتتفق دلالات الحاجات الانفعالية في الأمثال العربية مع توجهات نظريات النمو الإنساني في تأكيدها على إشباع حاجات الطفل الانفعالية، كتوفير الدفء والمحبة والمداعبة واللعب، والأهم من ذلك احترام حاجات الطفل الانفعالية، والاعتراف بها، وتقديرها لتحقيق النمو الإنساني المتكامل بأفضل مستوياتها، حيث أكد علماء النفس التطوري أن الخبرات العاطفية المبكرة التي يعيشها الطفل من خلال تفاعلاته الاجتماعية تؤثر في تحديد مشاعره واتجاهاته نحو الذات والآخرين، كما تمهد لتطوير النظام المعرفي الذي يجعله قادراً على تقييم معتقداته وتصوراته، حيث إن طبيعة السياقات الثقافية التي ينشأ فيها الطفل إما أن تكون ودية محفزة، أو معادية محبطة(Susan & Robyn, 1995).

المستوى الرابع: ويشمل الدلالات النفسية والتربوية ذات التكرار (3) مرات، وبنسبة مئوية (14%)، وهي:

أ- الاستعداد الذاتي: تعد دلالة الاهتمام باستعداد الطفل الذاتي للنمو والتعلم من النتائج النوعية التي تضمنتها الأمثال العربية، حيث أظهرت نظرة إيجابية لاستعداد الطفل الذاتي للتفوق والنجاح، كما في دلالة الأمثال: (ابن النجيب [الذكي] ما بخيب [ما بفشل] واذا نجح فاق [تفوق] أبوه)، و(الديك الفصيح من البيضة بصيح). في المقابل، قد تكون الصورة السلبية لاستعداد الطفل الذاتي أقل دلالة في الأمثال العربية التي قد يحملها المثل (اللي فيه طبع عمره ما بغيره).

وتتفق هذه النتائج مع افتراضات النظرية النفسية التربوية (النظرية المعرفة البنائية) التي افترضت أن الطفل قادر على التعلم والنمو السليم ذاتياً إذا ما وفرت له البيئة الداعمة والغنية بالأدوات والخبرات. ويشير مفهوم الاستعداد إلى القدرات الكامنة التي يولد الطفل مزودا بها، وتسهم في تسهيل عمليات نموه وتعلمه بمختلف مجالاته بأقل وقت وجهد. كما يعد الاستعداد الإيجابي عاملا مؤثرا في تحقيق التعلم بأفضل مستوياته؛ مما يتطلب من المربين الاهتمام باستعداد الطفل، ومحاولة تشخيصه، ومعرفة خصائص أطفالهم؛ لأن التعلم والنمو الأفضل هو الذي يتم وفقاً لاستعداد الطفل الذاتي وحاجاته (العتوم والجراح والحموري، 2015).

ب- التنشئة المبكرة: أكدت دلالات الأمثال العربية على أهمية التدخل المبكر في تنشئة الطفل؛ لأثرها الإيجابي في غرس مبادئ التعلم النشط والنمو الأفضل، كدعوة المثل (ابنك على ما ربيتيه، وجوزك على ما عودتيه). كما اعتبرت الأمثال أن الطفولة مرحلة حرجة للتنشئة الاجتماعية (ربّ ابنك وهو صغير تفرح فيه وهو كبير). كما لم تظهر نتائج تحليل الأمثال (عينة الدراسة الحالية) أي سلبية للتدخل المبكر في تنشئة الطفل.

وتتفق هذه النتائج مع افتراضات نظريات التحليل النفسي التي ترى أن السنوات الأولى من عمر الطفل، وتحديداً مرحلة ما قبل المدرسة (6) سنوات تشكل معظم شخصية الطفل المستقبلية. وقد تعزى الفروق بين الأطفال في مجالات النمو والتعلم إلى الفروق في المعتقدات الثقافية والاجتماعية للقائمين على مؤسسات تنشئة الطفل.

ج- الحاجات الاجتماعية: تأكيداً لاهتمام الثقافة العربية بالصورة الكلية لمجالات نمو الطفل وتعلمه، أظهرت دلالات الأمثال اهتمامها بضرورة إشباع حاجات الطفل الاجتماعية كقول المثل (يكبروا، وتكبر كلمتهم)، حيث أكدت نظريات النمو الاجتماعي أن لكل مرحلة نمائية حاجات اجتماعية تمثل مهمات نمائية يجب إشباعها، وإلا سيواجه الطفل أزمة نمائية قد تعيق نموه اللاحق، لذلك يجب إشباع حاجات الطفل الاجتماعية واحترامها بافضل مستوياتها، وهو ما دعت إليه الأمثال العربية من خلال (إن كبر ابنك خاويه [صاحبه]).

د- صعوبة تربية الطفل: أظهرت الأمثال العربية صورة خبرات عملية تنشئة الطفل والتحديات والصعوبات التي قد يواجهها

القائمون على تنشئة الطفل، ورعايته كقول المثل (ما يربي جسد ليفنى كبد). وتحمل هذه الدلالة توجيه الانتباه إلى الاستعداد لبذل مزيد من الجهود في عملية تنشئة الطفل ورعايته، وضرورة توفير كافة الجهود اللازمة لها. وقد تعد عملية تنشئة الطفل ورعايته في الوقت الحاضر أكثر صعوبة في ظل تزايد عدد الأدوات المؤثرة في التنشئة الاجتماعية بفعل التطورات التكنولوجية المتنوعة، بعدما أصبح العالم قرية صغيرة بالانفتاح الواسع بين الثقافات العالمية، وقد أكدت الأمثال درجة الصعوبة التي يمكن أن تصل إليها عملية تنشئة الطفل بالمثل (تربية الصبيان مثل قرط الصوان).

و- السلوكيات السلبية: لم تغفل الأمثال العربية الجانب السلبي لسلوكيات الأطفال وممارستها، وميل الطفل مهما بلغ من رعاية وعناية إلى ممارسة السلوكيات الخاطئة، وعدم قدرته على ضبطها ذاتياً كالمثل (الولد ولد ولو صار قاض لبلد). كما صورت الأمثال الآثار السلبية لسلوكيات الأطفال على الراشدين القائمين على رعايتهم لتصل إلى أشد سلبياتها بعدم قدرتهم على حل مشكلات الاطفال، أو تعديلها كما جاء في المثل (قاضي الأولاد شنق [قتل] حالة) ، وكأنها إشارة إلى ضرورة استخدام أساليب حازمة ومتشددة في ضبط سلوكاتهم.

وأكدت نتائج دراسات الثقافة العربية انتشار عدد من السلوكيات السلبية لدى الأطفال أخلاقياً، كالكذب والغش في الاختبارات واجتماعياً وانفعالياً، كانعدام المسؤولية، وعدم طاعة القوانين، بالإضافة إلى مشكلات معرفية، كتشتت الانتباه، والهروب من المدرسة (السرطاوي، دقماق، أبو هلال، 2009)، مما قد ينعكس سلباً على نمو الطفل وتعلمه. كما تعد سلوكيات الطفل مصدر قلق وقصور في أدوار الأسرة والمربين في مجال التنشئة الاجتماعية.

كما قد تعزى السلوكيات الخاطئة لدى الأطفال إلى قصور في عملية تنشئة الطفل ورعايته، حيث تؤثر أنماط الرعاية الوالدية في طبيعة سلوكيات الاطفال تبعاً لمعتقداتهم حول صورة الطفل وتنشئته. كما تمثل التنشئة الاجتماعية واحدة من أهم أدوات ضبط السلوك وتعديله باعتبارها إطاراً مرجعياً أساسياً لسلوكيات الفرد والجماعة (Wang, 2014).

المستوى الخامس: وتكون من الدلالات النفسية والتربوية التي بلغ تكرارها (2) وبنسبة مئوية (9%)، وهي:

أ- الحاجات النمائية: فعلى الرغم من النظرة إليها بأنها حتمية الحدوث بفعل عوامل التطور والنضج الإنساني، إلا أن الأمثال العربية أكدت على ضرورة الاهتمام المبكر بالمهمات النمائية للطفل، التي تعد ذات دلالة نفسية وطبية تمثل، كالتدريب على مهمة الجلوس (بنت الأربعة ستتوها [دلعوها] وإن ما قعدت لا تغصبوها [لا تكرهوها])، وضرورة إتمامها في العمر الزمني المناسب، والتدريب عليها من خلال توظيف مبادئ التعزيز كمفاهيم (ستتوها، ولا تغصبوها) ومبادئ العقاب كما في المثل القائل (ابن أربعة ربعوه وإن ما قعد اضربوا أمه مع أبوه) للدلالة على عدم إجبار الطفل وإكراهه على إتقانها.

ب- التأديب الجسدي: أشارت الأمثال العربية بشكل صريح إلى إمكانية استخدام العقاب الجسدي، كالضرب لضبط سلوكات الأطفال وتوجيهها (اضرب ابنك واحسن أدبه ما يموت إلا إذا خلص أجله). وعلى الرغم من توجهات التربية الحديثة الرافضة لاستخدام العقاب الموجب خاصة الضرب الجسدي كحل أولي ووحيد لضبط السلوكيات الخاطئة، إلا أن العقاب له افتراضاته وقواعده ومبرراته في النظريات النفسية والتربوية (النظرية السلوكية)، وهو ما تم تضمينه في دلالات الأمثال العربية؛ مما قد يتتطلب تطبيق أساليب رعاية والدية أكثر شدة مع سلوكيات الأطفال؛ من أجل ضبطها وتعديلها بصورة أكثر إيجابية (العتوم وزملاؤه، 2015). فقد أظهرت نتائج الدراسات وجود فروق في سلوكيات الأطفال السلبية والإيجابية تعزى لأنماط الرعاية الوالدية، كما بينت النتائج أن أنماط الرعاية من قبل الآباء كانت أكثر تأثيراً في تعديل سلوكيات الاطفال (Wang, 2014).

ج- الأنانية في التربية: كشفت دلالات الأمثال العربية عن النظرة التشاؤمية في عملية رعاية الأطفال الآخرين غير الأطفال حقيقيي النسب كضرب المثل (ابن غيرك ما ينفعك وكلب غيرك ما يتبعك). وقد تعزى هذه النظرة إلى أن الوالدين مطالبان بشكل أساسي بنتائج تربية أطفالهم أكثر من الأطفال الآخرين.

المستوى السادس: وتمثل في الدلالات النفسية التي بلغ تكرارها (1) وبنسبة مئوية (5%) كالآتي:

أ- حاجة الطفل إلى الطعام، والنوم، واللباس: قد ينظر كثير من الأفراد إلى مثل هذه الحاجات بأنها حتمية الإشباع والتوفير بدافع الأبوة والأمومة، إلا أن الأمثال العربية أكملت نظرتها الشاملة لدلالة صورة الطفل؛ مما يضيف لها أهمية ومكانة جديدة في مجال اهتمامها وتأكيدها على ضرورة إشباع حاجة الطفل إلى الطعام (يكبروا وتكبر لقمتهم) ، كما أن هناك بعض الحاجات التي قد تبدو في كثير من الثقافات بأنها غير ضرورية في مجال رعاية الطفل، مثل الحاجة إلى النوم، إلا أن الأمثال العربية أكدت على الاهتمام بساعات نوم الطفل وتفضيلها على غيرها من العادات الثقافية، كما في المثل (لا تقعد ابنك من النوم لو غشيك القوم) ، وكذلك التأكيد على الحاجة إلى اللباس كالمثل (يكبروا وتكبر كسوتهم).

ويسجل للثقافة العربية اهتمامها بتلك الحاجات النمائية، حيث إن إشباع حاجة الطفل من النوم يساعد في تحقيق النمو والتعلم السليم، حيث تزداد الحاجة للنوم منذ الولادة لساعات طويلة قد تصل إلى (17 – 20) ساعة يومياً، وتقل الحاجة إلى النوم تدريجياً مع التقدم بالعمر. كما أن الاهتمام بملابس الطفل ومظهره الخارجي يساعد في تحسين نظرته لذاته ومفهوم ذاته الاجتماعية.

ب- العدالة بين الأطفال: إضافة إلى أن العدالة من القيم الدينية والثقافية العربية الأصيلة، إلا أن هناك تاكيداً على ضرورة مراعاة أنماط الرعاية الوالدية للعدالة بين الأطفال، والنهي عن التمييز بينهم لأي سبب من الأسباب، وشدد المثل على عقوبة انتهاك المبدأ النفسي والتربوي في التنشئة الاجتماعية، كما يصورها المثل (اللي يفرق بين الولد والولد ببوسة إله بجهنم دوسة) ، وذلك لما للتميز وعدم العدالة من آثار نفسية سلبية على نمو الأطفال وتعلمهم، وهذا دلالة إلى تبني أساليب تنشئة قائمة على العدل بين الأطفال، والابتعاد عن التحيز، حيث تؤثر أنماط الرعاية الإيجابية في مختلف جوانب نمو الطفل وتعلمه، وتزيد من قدرته على التكيف الإيجابي، والنظرة الإيجابية للذات والآخرين، وممارسة السلوكيات السوية.

ج- حضانة الطفل: في دلالة نوعية ومتميزة أكدت الأمثال العربية منذ زمن مبكر على أهمية توفير الرعاية البديلة (الحضانة) المناسبة للطفل، وحددتها بشرط المعرفة والخبرة والكفاءة لدى الحاضنة أو المربية البديلة كما أكدها المثل (اعطِ ابنك للي عنده ولد) ، حيث إن الشخص الذي لديه ولد أقدر على رعاية الطفل لمعرفته بحاجاته وامتلاكه الخبرة في طريقة تنشئته، في حين أن الشخص الذي لا يمتلك ولدا، لأي سبب من الأسباب لن يكون قادراً على رعايته؛ لافتقاره للمعرفة والخبرة الكافية بحاجاته وطريقة رعايته. وبذلك قد تكون الثقافة العربية سبقت الاتجاهات الحديثة في مجال تنشئة الطفل ورعايته من حيث دور الحضانة المناسبة والمربي ذو الخبرة والكفاءة.

وعلى الرغم من تمثيل الدلالات النفسية والتربوية المتمثلة في (الحاجة إلى النوم واللباس، والعدالة بين الأطفال، وحضانة الطفل) بأقل معدل تكرار، إلا أنها تعد ذات دلالات نوعية ومصدر قوة وأصالة للأمثال الثقافة العربية تستحق عليه التقدير والبحث في دلالاتها ومكوناتها المختلفة بالدرجة التي تحظى به افتراضات النظريات والاتجاهات التربوية الحديثة، حيث تم الإشارة والاهتمام في هذا المستوى إلى دلالات نوعية يسجل للثقافة العربية الريادة به.

مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: "ما وظائف الأمثال الثقافية العربية في مجال تنشئة الطفل ونموه ؟". أظهرت النتائج أن هناك وظائف متعددة للأمثال العربية شملت الجوانب المعرفية والاجتماعية والانفعالية والجسمية والاخلاقية. وتتفق هذه النتائج مع ما كشفت عنه نتائج دراسات كل من (سليم، 2011؛ وعبد الجواد، 2014؛ Wachnolz & yzssudz, 2011; Nippold,) التي أظهرت وجود عدد من الوظائف والقيم التربوية والاجتماعية والاخلاقية والانفعالية. وسيتم مناقشتها، وفقاً لترتيبها التنازلي كما كشفت عنه نتائج التحليل في الدراسة الحالية، كالآتي:

أولاً: المجال الانفعالي

الجدول(5): الوظائف الانفعالية للأمثال العربية

الرقم	المثل
.1	ربِّ ابنك وهو صغير تفرح فيه وهو كبير.
.2	اللي عند أمه لا تحمل همه.
.3	اللي يفرق بين الولد والولد ببوسة إله بجهنم دوسة.
.4	اللي أمه بالدار حظاته كتار.
.5	ارحمهم صغار وصاحبهم كبار
.6	يكبروا ويكبر همهم.
.7	يا أم الولد لا تكوني بخيله مراضاة الولد قليلة.
.8	الصبي ما أحلى بشارته ولو مات بساعته.
.9	ما أعز من الولد إلى ولد الولد.
.10	الأولاد إن ماتوا نيران وإن عاشوا جيران.
.11	عند افراحهم ما نراهم وعند شقاهم يحملونا بلاهم.
.12	الحبل دلال والطلق غيه، والتربية يا بلوة البلية.

الرقم	المثل
13.	قاضي الأولاد شنق حاله.
14.	ابن ليلته بقلق عيلته.

تلعب الأمثال دورًا كبيرًا في دعم النمو الانفعالي للطفل من خلال تصويرها لمواقف انفعالية سابقة تم حدوثها، وتوظيفها كتفسيرات في المواقف الانفعالية التي نمر بها. حيث يرى الباحث أن الأمثال قد تمثل ميكانزمات دفاعية (وسيلة وآلية للتكيف) ثقافية اجتماعية تساعد الطفل في المحافظة على ذاته الاجتماعية. وتحديدًا قد تحقق الأمثال الوظائف الانفعالية الآتية:

1. تساعد الطفل في التخلص من الآثار السلبية للمواقف المحرجة من خلال تصويرها لحادثه مماثلة لموقفه الحالي؛ مما يشعر الطفل بوقوع هذه الحالة؛ أي أنه ليس أول من يواجه هذا الموقف، وبالتالي التقليل من حجم الضغط النفسي الذي يمكن أن يتعرض له، كما هو الحال في المثل (قاضي الأولاد شنق حاله).
2. تدعم الامثال انفعالات الطفل من خلال تقديم مبررات وتفسيرات عقلانية مقبولة ثقافياً واجتماعياً للمواقف الانفعالية السلبية التي قد يواجهها مع القائمين على تنشئته ورعايته. كما في المثل (اللي يفرق بين الولد والولد ببوسة إله بجهنم دوسة).
3. تعد الامثال مرشدًا نفسياً للطفل ودليلاً ثقافياً عملياً تزود الراشدين بالطرق الصحيحة للتعامل معهم خاصة في المواقف الطارئه من خلال ما تضمنته من وصايا ونصائح وإرشادات، وتحذيرات. كالمثل القائل (يا أم الولد لا تكوني بخيلة مراضاة الولد قليلة).
4. يعمل الاستشهاد بالأمثال وتكرارها في مواقف الانفعالات السلبية على مساعدة القائمين على تنشئة الطفل ورعايته الطفل في التنفيس الانفعالي، والتخلص من الطاقة السلبية الزائدة والحمولة الاجتماعية والثقافية المؤرقة من أعباء تنشئة الطفل ورعايته. كما في المثل (عند أفراحهم ما نراهم وعند شقاهم يحملونا بلاهم).

ثانياً: المجال الاجتماعي

الجدول(6): الوظائف الاجتماعية للامثال العربية

الرقم	المثل
1.	ابنك على ما ربيتيه، وجوزك على ما عودتيه
2.	مات أبوي ع المراتب حطوني، وماتت أمي ع المزابل رموني
3.	إن كبر إبنك خاوية
4.	الابن يحيى الذكر
5.	مين (من) خلف ما مات
6.	البنين بنا، أولهم فقر وآخرهم غنى
7.	وقت يكون الأولاد صغار الأم تأكل بملاعق ذهب، وإذا كبروا تأكل بملاعق خشب.
8.	ابنك و هو صغير وردة تشميه، لما يكبر خي تداريه
9.	اللي ببيت أهله على مهله
10.	يكبروا..... وتكبر كسوتهم
11.	الأولاد بدهم حيل وأم ما تنام الليل
12.	الأولاد بدهم أم صبية وأب غني

كما يمكن أن تحقق الأمثال عدد من الوظائف الاجتماعية في مجال تنشئة الطفل، أهمها:

1. تساعد الطفل وأسرته على التكيف الاجتماعي؛ كونها تكسبهم معايير الجماعة الثقافية، وتحقيق أهدافها. كدلالة المثل(الابن يحيى الذكر)، والمثل(مين [من] خلف ما مات).
2. تمثل وسيلة إرشاد وتوجيه للتطبيع الطفل اجتماعياً من خلال تطبيق ما تتضمنه من نصح وإرشاد، كما يصورها المثل (ابنك على ما ربيتيه، وجوزك على ما عودتيه).
3. تمكن الطفل ثقافياً واجتماعياً من خلال تزويده بالعادات والتقاليد السائدة في ثقافته، كدلالة المثل (اللي ببيت أهله على مهله).

4. تسهل متطلبات النمو الاجتماعي للطفل، من خلال تأكيدها في معتقدات الراشدين، كدلالة المثل (يكبروا وتكبر لقمتهم، وتكبر كلمتهم، وتكبر كسوتهم ويكبر همهم).

ثالثاً: المجال الأخلاقي

الجدول(7): الوظائف الأخلاقية للأمثال العربية

الرقم	المثل
1.	تربية الصبيان مثل قرط الصوان.
2.	ما يربي جسد ليفنى كبد.
3.	الولد ولد ولو صار قاض لبلد.
4.	اضرب ابنك واحسن أدبه ما يموت إلا إذا خلص أجله.
5.	العصا من الجنة.
6.	لا تطول الحبل لابنك، يشنق حاله فيه.
7.	ابن ابنك الك، ابن بنتك لا.
8.	ابن غيرك ما ينفعك وكلب غيرك ما يتبعك.

ومن أهم الوظائف الاخلاقية التي يمكن أن تحققها الأمثال الثقافية العربية ما يلي:

1. تكسب الطفل السلوكيات الإيجابية والقيم الأخلاقية المرغوب بها ثقافياً واجتماعياً، التي يجب ممارستها من خلال دعوة القائمين على تنشئته بالاهتمام بنموه الأخلاقي كما يصورها المثل (ما يربي جسد ليفنى كبد).

2. تعد الأمثال أداة ضبط لسلوكيات الأفراد ومعياراً لمحاكمتها؛ لذلك تزود الطفل بالمعايير الأخلاقية، وإمكانية العقوبة على مخالفتها، كالمثل (اضرب ابنك واحسن أدبه ما يموت إلا إذا خلص أجله).

3. تساعد على التمييز بين السلوكيات الأخلاقية واللاأخلاقية من خلال تضمينها مقدار التعزيز والعقاب. ووضع حدود لسلوكياتهم، كدعوة المثل (لا تطول الحبل لابنك، يشنق حاله فيه).

4. تحفز الأمثال دوافع الطفل وقدراته للظهور بالصورة الأخلاقية الصحيحة خلافاً للصورة السلبية لنموه الاخلاقي، كما في المثل (الولد ولد ولو صار قاضي لبلد).

رابعاً: المجال المعرفي

الجدول(8): الوظائف المعرفية للأمثال العربية

الرقم	المثل
1.	ابن النجيب ما بخيب واذا نجح فاق أبوه
2.	الديك الفصيح من البيضية بصيح
3.	الي فيه طبع عمره ما بغيره
4.	السقي بعد الغرس، والتربية قبل الدرس
5.	يكبروا وتكبر...كلمتهم
6.	ابني أعرفه ويعرفني
7.	اعطي ابنك للي عنده ولد

يمكن ملاحظة عدد من الوظائف المعرفية للأمثال في مجال تنشئة الطفل، أهمها:

1- تمثل نماذج ذهنية للطفل تعمل على تنمية عملياته المعرفية كزيادة القدرة على التخيل والتفكير في المواقف الحياتية المختلفة، كتدريب الطفل على ممارسة العمليات المعرفية التي يتطلبها إدراك معنى المثل (أعطِ ابنك للي عنده ولد).

2- تعزز قدرة الطفل على الحفظ والتذكر؛ كونها قائمة على عمليات التشبيهة بمثيرات بيئية تمثل دلائل استرجاع ومساعدات

تذكر مشوقة ومألوفة للطفل (كالطيور، والنباتات) كالتشبيهة في المثل (ابن النجيب ما بخيب واذا نجح فاق أبوه).

3- تعد طريقة مناسبة لتدريس الأطفال؛ كونها قائمة على الإيجاز والتشويق والمحسنات اللغوية والبديعية كالسجع والطباق؛ مما يزيد من دافعيتهم للتعلم، كتعليم الطفل المضامين التي يشير إليها المثل (السقي بعد الغرس، والتربية قبل الدرس).

4- تعد نماذج معرفية لمفهوم الحكمة والإبداع؛ لذلك يمكن توظيفها لتدريب الأطفال على مهارات الحكمة من خلال تشجيعهم على صياغة أمثال وحكم خاصة بهم تعكس خبراتهم تجاربهم المختلفة بطريقة إبداعية، كما في المثل (الديك الفصيح من البيضية بصيح)

5- تسهم في تدريب الطفل على استخدام الأدلة والحجة والبرهان؛ لإثبات أفكاره من خلال الاستشهاد بالأمثال في مواقف تعليمية (ابني أعرفه ويعرفني).

خامساً: المجال الجسمي

الجدول(9): الوظائف الجسمية للأمثال العربية

الرقم	المثل
1.	ابن أربعة ربعوه وإن ما قعد اضربوا أمه مع أبوه.
2.	بنت الأربعة ستتوها وإن ما قعدت لا تغصبوها.
3.	اللي أمه بالبيت ما يحس بالجوع.
4.	يكبروا وتكبر لقمتهم،
5.	الولد يبكي يا جوع يا موجوع.
6.	لا تقعد ابنك من النوم لو غشيك القوم
7.	من وقت كبروا صيصاني ما شبع منقاري.

ومن أهم الوظائف الجسمية للأمثال العربية، ما يلي:

1- تسهم مضامين الأمثال في المحافظة على النمو الجسمي والصحي للطفل، من خلال تأكيدها على ضرورة إشباع حاجات الطفل النمائية واحترامها، كما يصورها المثل (لا تقعد ابنك من النوم لو غشيك القوم).

2- تدعم النمو الجسمي للطفل من خلال تزويد مقدمي الرعاية خاصة الوالدين والمعلمين بالقواعد الصحية والحاجات النمائية التي يجب إشباعها مع مراعاة المرحلة العمرية للتطور الإنساني، كما في المثل (بنت الأربعة ستتوها وإن ما قعدت لا تغصبوها).

3- تعد دليلاً صحياً عملياً بما تتضمنه من قواعد الطب الشعبي ونصائح الخبرة والحكمة، والتفسيرات السببية المستوحاة من الواقع والتجريب، بما يخدم نمو الطفل الصحي والجسمي، كما في المثل (الولد يبكي يا جوع يا موجوع).

مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: "ما إسهامات الأمثال الثقافية العربية في مجال رعاية الطفل وتنشئته المعاصرة ؟".

يرى الباحث أنه من خلال تأمل نتائج تحليل السؤالين السابقين أن الأمثال العربية قدمت عددا من الافتراضات النظرية الشاملة لمختلف جوانب تنشئة الطفل ورعايته، جمعت بين قوة المضمون، وقابلية التطبيق بصياغة مركبة من خلاصة خبرة ثقافية ذات جذور تاريخية؛ مما يجعل منها نموذجاً ورؤية ثقافية عربية صالحة للتوظيف في مجال تنشئة الطفل ورعايته، ومن أبرز ملامح إسهامات الأمثال الثقافية العربية في مجال رعاية الطفل وتنشئته المعاصرة ما يلي:

1- أولت الأمثال العربية مرحلة الطفولة بمكانة خاصة، حيث شكل الطفل مكوناً أساسياً من مكونات الثقافة العربية، من خلال تخصيص فصول خاصة في مراجع الأمثال الثقافية المتعلقة برعاية الطفل وتنشئته، حيث تكرر مفهوم الطفل (48) مرةً في الدراسة الحالية.

2- حددت الثقافة العربية المبادئ والقواعد الأساسية لتنشئة الطفل والاهتمام به بما يتفق وعاداتها وتقاليدها الأصيلة؛ حتى أصبحت جزءا من معتقداتها ومبادئها الثقافية الراسخة، كما جاء في المثل (اللي يفرق بين الولد والولد ببوسة إله بجهنم دوسة).

3- صاغت الأمثال الثقافة العربية صورة شاملة ومتكاملة لحاجات الطفل شملت جوانب نموه وتعلمه المختلفة معرفياً واجتماعياً وانفعالياً وأخلاقياً، وجسمياً. كما يصورها المثل (يكبروا وتكبر لقمتهم، وتكبر كلمتهم، وتكبر كسوتهم ويكبر همهم).

4- اهتمت الأمثال العربية بالتنبؤ بصورة الطفل المستقبلية، ونتائج تنشئته ودلالاته النفسية والتربوية كما هو الحال في قول

المثل (ربَّ ابنك وهو صغير تفرح فيه وهو كبير)

5- قدمت الأمثال العربية صورة تنشئة الطفل بمجاليها الإيجابي والسلبي ووازنت بينهما، حيث تمثلت الصورة الإيجابية بإظهار قابلية الطفل، واستعداده الذاتي للتعلم والنمو السليم. كما في المثل (ابن النجيب ما بخيب واذا نجح فاق أبوه) ، بالإضافة إلى قدرته على مساعدة الاهل مستقبلاً، واعتباره ثروة اجتماعية واقتصادية للوالدين، كالمثل (البنين بينا، أولهم فقر وآخرهم غنى). في المقابل، تمثلت دلالة الصورة السلبية لتنشئة الطفل في صعوبة عملية تنشئته. كما في المثل (تربية الصبيان مثل قرط الصوان) ، والتكلفة الاقتصادية والاجتماعية والانفعالية التي تتطلبها رعاية الطفل، بالإضافة إلى قابلية الطفل لممارسة السلوكيات الخاطئة التي يصعب ضبطها وحلها أحياناً(قاضي الأولاد شنق حاله).

6- اضافت الأمثال العربية إسهامات معاصرة ذات أصالة في مجال تنشئة الطفل من خلال تأكيدها منذ وقت مبكر على ضرورة الاهتمام بنوعية دور رعاية الطفل (الحضانة)، كما في المثل (اعطي ابنك للي عنده ولد).

توصيات الدراسة

بناءً على نتائج الدراسة الحالية، يوصي الباحث بعدد من التوصيات النظرية والتطبيقية، أهمها:

1- العمل على توظيف مضمون الأمثال العربية، ودلالاتها النفسية والتربوية الإيجابية لصورة الطفل في مجال إعداد وتدريب القائمين على تنشئة الطفل ورعايته.

2- ضرورة توحيد العمل العربي المشترك في مجال رعاية الطفولة والاهتمام بها من خلال وضع الاستراتيجيات وإعداد البرامج، والمبادرات العملية انطلاقاً من الافتراضات المعرفية والثقافية الواحدة التي تضمنتها الأمثال الثقافية العربية.

3- ضرورة إحياء الأمثال الإيجابية لصورة الطفل ضمن المناهج الدراسية؛ لتحسين صورة ذات الطفل وزيادة الوعي بمكانتة الاجتماعية، حيث أظهرت النتائج مكانة هامة ودورا إيجابيا للطفل بين فئات المجتمع في الثقافة العربية.

4- كما يوصي الباحث بإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث في مجال التراث الثقافي للطفل وعلاقاتها في المفاهيم النفسية والتربوية، كالنظرة لقابليته للتعلم، وعملياته المعرفية كالذكاء، والقدرة على حل المشكلات من منظور الأمثال الثقافية.

المراجع

حسنين، ح. (1996). توظيف الموروثات الشعبية لأغراض تنمية المجتمع المحلي. عمان: دائرة المكتبة الوطنية، ص57-69.

الخميسي، س. (1998). المضمون التربوي في المثل الشعبي. مجلة كلية تربية دمياط، مصر، 2(3)، 80- 93.

زبيد، أ وسعيد، م. (1989). مقارنة بين الأمثال العامية المكية والأردنية. مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 4(3)، 123-141.

السرطاوي، ع ودقماق، س وأبو هلال، م. (2009). المشكلات السلوكية لدى الطلبة في المرحلتين الأعدادية والثانوبة في المدارس الحكومية بدولة الأمارات العربية المتحدة. مجلة كلية التربية، جامعة الأمارات العربية المتحدة،26، 39- 75.

سليم، ص. (2011). الأمثال الشعبية كخلفية للعنف في المجتمع الجزائري: دراسة تحليلية. مجلة جامعة الجزائر، 2(4)، 79- 89.

طه، ج. (1999). موسوعة الأمثال الشعبية العربية: دراسة تاريخية مقارنة. الرياض: الدار الوطنية، ص95-101، 217-221.

عبد الجواد، إ. (2014). فاعلية توظيف الأمثال الشعبية في التحصيل الفوري والمؤجل في البلاغة بالمرحلة الثانوية. مجلة جامعة القدس المفتوحة، 2(33)، 241- 274.

العتوم، ع والجراح، ع والحموري، ف. (2015). نظريات التعلم. عمان: دار المسيرة، ص19-22.

العواودة، ن. (2013). الثقافة الدافعة والثقافة المعيقة في الأمثال السائدة في الأردن وانعكاساتها التربوية. اطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

قطامي، ي. (2014). نمو شخصية. عمان: دار المسيرة. ص25-34، 113-114.

كشيك، م. (2014). المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية "دراسة وصفية تحليلية". مجلة جامعة دمشق، 30(2)، 199- 236.

نجم، م وعلي، ع. (2006). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية "دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي" التاريخ الشفوي الواقع والطموح 15- 16 مايو 2006، الجامعة الاسلامية، كلية الآداب.

النوايسة، ن. (1997). الطفل في الحياة الشعبية الأردنية. الأردن: وزارة الثقافة. ص58-61.

Caroline, F., & Simone, V. (2014). Impact of structured group activities on pre- service teacher beliefs about classroom motivation: an explovatory study. Journal of education Education for teachingTeaching, 40(2), 155- 172.

Karadag, O. (2013). Child and childhood in Turkey: Turkish Proverbs. Millî Folklor, 25(98), 109-124.

Matthew, K., & Kristy, W. (2015). Ecological Systems Theory in School Psychology Review. National Association of School Psychology, 44(3), 249 -261.

Nippold, M., & Haq, F. (1996). Proverb Comprehension comprehension in youth: the rolr of concvetness and familiarity. Speech languge and hearing research, 39(6), 166- 176.

Rusieshvili, M., & Gözpınar, H. (2014). Similar and unique in the family: How to raise children (Using examples of Turkish and Georgian proverbs relating to children). Journal of Language and Linguistic Studies, 10(1), 67-77.

Susan, G., & Robyn, F. (2005). Gender development. UK: Cambridge University press.

Wachholz, T., & Yassuda, M. (2011). The interpretation of proverbs by elderly whith high, medium and low educational level. Dement Neuropsychol, 51(1), 31- 37.

Wang, H. (2014). The relationship between parenting styles and academic and behavioral adjustement among Urban Chinese adolescents. Chinene Sociological Review, 46 (4), 19-40.

Educational and Psychological Connotations of Child Image in Arab Cultural Proverbs: An Analytical Study

Hamzeh A. Al-Rabab'a*

ABSTRACT

This study aimed at identifying psychological and educational connotations of child image in Arab cultural proverbs. The study was conducted on a sample of (45) Arabic proverbs regarding child rearing and care-giving. To achieve the objectives of the study, content analysis method was used. The results showed the existence of (17) psychological and educational connotations of child image, which were classified into (6) levels according to their frequency: requirements of child socialization, advantages of child rearing, affective needs of the child and his maternal relationship, self- disposition and early socialization, difficulties of child rearing and social needs and negative behaviors, developmental needs and physical punishment, and selfishness in rearing, and finally equity and justice among children, need for sleep, food and clothes, and child nursery houses. Results also showed that Arabic proverbs aimed at accomplishing some functions in the child growth and learning area. Affective functions were the most frequent, followed by the social and physical functions, wile moral functions and cognitive functions were the least frequent ones.

Keywords: child, Arabic proverbs, psychological, educational connotations, Child Culture and Arab culture.

* Yarmouk University. Received on 14/4/2016 and Accepted for Publication on 16/6/2016.